وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

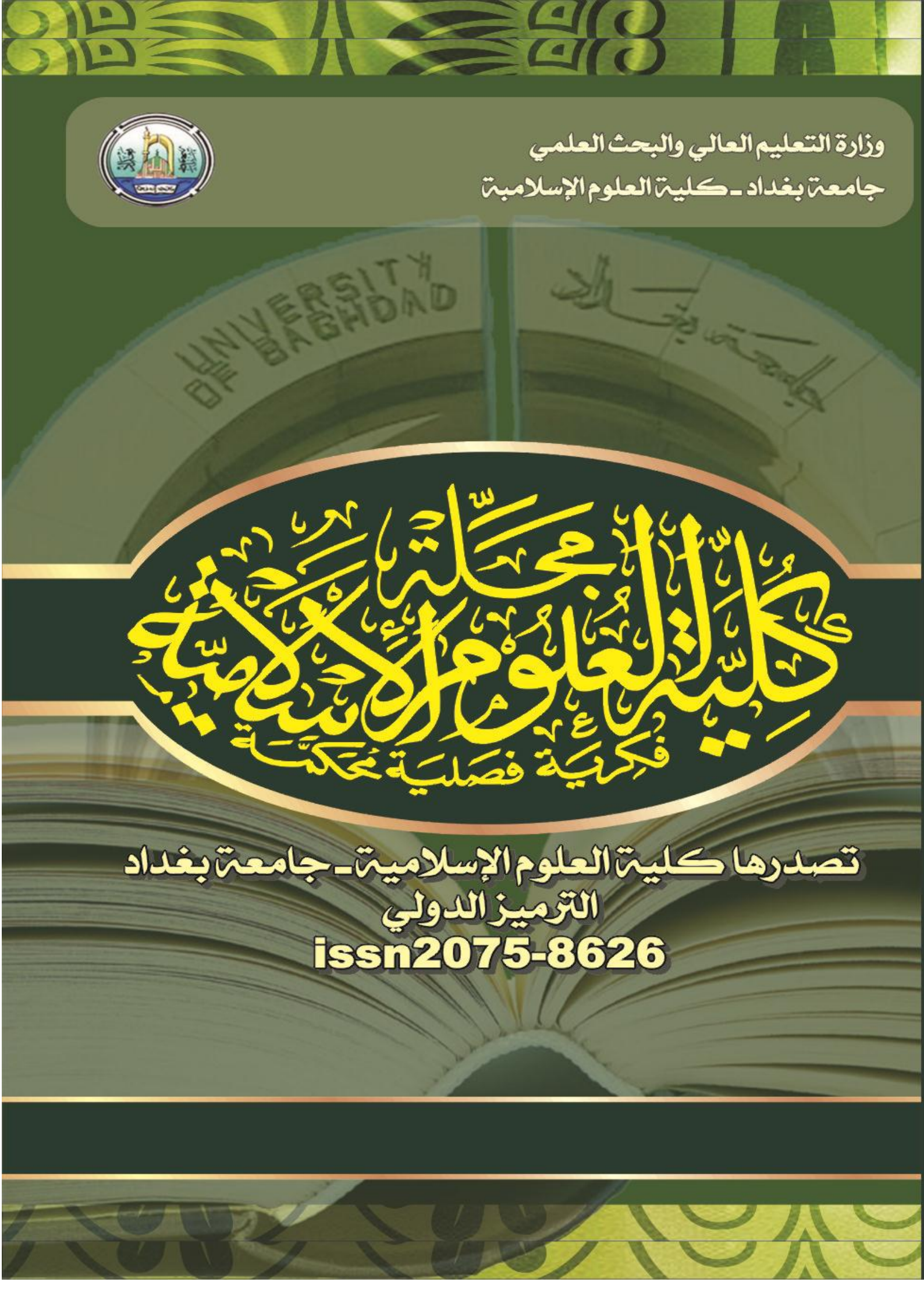

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

علمية - فصلية - محكمة

تصدرها
كلية العلوم الإسلامية
جامعة بغداد

العـــــدد
(٤٣)

(الجـــزء الثاني)

(١٦) ذي الحجة ١٤٣٦هـ - (٣٠) أيلول ٢٠١٥م

ايميل المجلة : journal@cois.uobagdad.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦م

﴿ فهرس الموضوعات ﴾

(الجزء الثاني)

❁ **كلمة العدد ..... ص ﴿٨﴾**

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
حاشية عصام الدين الإسفراييني على تفسير البيضاوي للإمام عصام الدين إبراهيم عربشاه الإسفراييني (ت٩٥١هـ) **دراسة وتحقيق(سورة البقرة من الآية ٧٥ ـ ١٠٠)**	م. د. قيس جليل كريم الخفاجي	٩ـ ٥٨
الحياة البرزخية والاستعداد لها	م.م. نور هشام عبود	٥٩ـ٨١
الانقطاع في السند وتأثيره على اختلاف الفقهاء	أ . م . د . عبد العظيم أحمد عدوان	٨٢ـ١١٠
أثر الاختلاف بين مذاهب الفقهاء الأربعة في تحقيق مقاصد التيسير في الاسلام	م . د . مثنى سلمان صادق	١١١ـ١٤٦
الإمام مسلمة بن القاسم القرطبي وجهوده في الجرح والتعديل	د .محمود محمد عبد الستار الجميلي	١٤٧ـ١٦٤
فقه الإمام النسائي من خلال سننه كتاب الديات دراسة فقهية مقارنة	أ.م.د. حيزومه شاكر رشيد	١٦٥ـ٢١٢
المباحث الأصولية المتعلقة بمسائل الإجماع من خلال كتاب إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (رحمه الله) **(دراسة أصولية مقارنة)**	م.د طالب رشيد جاسم العكيدي	٢١٣ـ٢٤٦
الأحكام المتعلقة بالأظفار في الفقه الإسلامي	م. م . عبدالكريم جاسم سلمان المشهداني	٢٤٧ـ٢٦٨

رسالة في لحن القراء والإنكار على من يقول بكفر اللاحن للشيخ محمد بن محمد بن أحمد السنباوي المالكي الأزهري المعروف بالأمير (ت١٢٣٢هـ) دراسة وتحقيق	أ.م.د. بشار عبد اللطيف علوان الفراجي	٢٦٩ـ٢٩١
غايةُ الإحْسانِ في عِلْمِ اللسَانِ تأليف أبي حيّانَ محمّد بن يوسف الأَنْدلسيّ تَ ٧٤٥هـ	تحقيق د. هادي أحمد فرحان الشجيري	٢٩٢ـ٣٣٨
صور الاقتباس الطلبي في أمثلة من شعر الزهد في العصر العباسي الأول	م.د. ليلى سعد الله ناجي	٣٣٩ـ٣٥١
بعض الردود على النحاة القدماء والباحثين المعاصرين في الحروف الأحادية	أ.م.د. عمر علي محمد الدليمي	٣٥٢ـ٣٩٠
السلم الموازي والتطبيق المعاصر في المصارف الإسلامية	د. عمر عبد عباس الجميلي	٣٩١ـ٤٠٣
تخفيف الهمزة عند ابن ادريس	م . د . عباس حميد سلطان	٤٠٤ـ٤٢٦
آليات تربوية للنهوض بواقع الأسرة المسلمة	د.إنصاف أيوب مومني	٤٢٧ـ٤٤٩
لمحات من العلاجات النباتية عند العرب والمسلمين	أ.م.د قصي أسعد عبد الحميد	٤٥٠ـ٤٦٤
مفهوم الاسرة في المنظور الاسلامي وتميزها عن الاسرة الغربية	م .د صباح محمد جاسم الصميدعي	٤٦٥ـ٤٩٠
مساقاة الفسيل وحكمها في الفقه الإسلامي	د. ليلى حسن محمد الزوبعي	٤٩١ـ٥١٤

صور الاقتباس الطلبي في أمثلة من شعر الزهد في العصر العباسي الأول

Images of Quotational Requests In some Examples of asceticism poetry In First Abbasid Era

إعداد

م.د.ليلى سعد الله ناجي

Preparation

Inst. Layla S. Naji (Ph.D)

noo1989155@yahoo.com

University of Diyala **جامعـــة ديالـــى**

College of Education for Human Sciences **كلية التربية للعلوم الإنسانية**

صور الاقتباس الطلبي في أمثلة من شعر الزهد في العصر العباسي الأول

ملخص البحث

الحمد لله الموفق للصواب ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد وعلى الآل والأصحاب وبعد ...

فقد جاءت دراستنا هذه بعنوان ((صور الاقتباس الطلبي في أمثلة من شعر الزهد في العصر العباسي الأول)) محاولة جادة لدراسة الفوائد البلاغية التي يلقي الأسلوب القرآني بضلاله في شعر الزهد العباسي ، فقد تسنى لي الوقوف على أمثلة انتقائية من شعر الزهد في العصر العباسي وقع فيها الاقتباس من آيات القرآن الكريم ، ووقع الاختيار على ثلاثة من أساليب الطلب تضمنها الاقتباس هي (الأمر ، والنهي ، والنداء) ، والسعي إلى الإشارة ما تتركه هذه الأساليب من أثر بليغ في سياق شعر الزهد العباسي .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله تعالى ، والصلاة والسلام على خير الخلق محمّد وعلى آله وصحبه ، وبعد .

فقد تم اختيار عنوان " صور الاقتباس الطلبي في أمثلة من شعر الزهد في العصر العباسي الأول " محاولة جادة لدراسة الفوائد البلاغية التي يلقي الأسلوب القرآني بظلاله في شعر الزهد العباسي ، وقد تسنى لي الوقوف على أمثلة انتقائية من شعر الزهد في العصر العباسي وقع فيها الاقتباس من آيات القران الكريم ، ووقع الاختيار على ثلاثة من أساليب الطلب تضمنها الاقتباس هي (الأمر ، والنهي ، والنداء) ، وسعيت من خلال الدراسة إلى الإشارة إلى ما تتركه الأساليب من أثر بليغ في سياق شعر الزهد العباسي ، ويكثر شاعر الزهد من ترديد المعاني الدينية التي يوجهها إلى الغافلين عن الحقيقة ، فيكثر من النصائح والمواعظ في الترغيب والترهيب والتحذير ، لذلك أكثر من استعمال صيغ الأمر والنهي والنداء . ويمكن القول أن الأسلوب الوعظي الذي صاحب شعر الزهد والذي أخذ معانيه من القرآن الكريم وظف فيه الشاعر هذه الأساليب الطلبية للوصول إلى مقاصده المنشودة . فجاءت عنوانات الدراسة الفرعية منسجمة مع العنوان الرئيس ، إذ يتحدث المبحث الأول أسلوب الأمر في الاقتباس ودلالاته السياقية في الشعر ، ويأتي المبحث الثاني ليتحدث عن دلالات أسلوب النهي في سياق الاقتباس القرآني في شعر الزهد ، والمبحث الثالث تناولت فيه الأثر الدلالي لاقتباس النداء القرآني ، ثم تأتي الخاتمة لإبراز أهم النتائج التي سيكشف عنها البحث ، وقد أفاد الباحث من مصادر ومراجع عدة من أبرزها كتاب الله العظيم ، وكتاب بهجة المجالس ، والمستطرف من كل فن مستظرف ، ومن أبرز المراجع كتاب من بلاغة القران ، والمعاني الثانية في الأسلوب القرآني .

المبحث الأول

صورة الاقتباس في أسلوب الأمر

الأصل في الأمر أن يكون الطلب في الفعل يكون على سبيل الإيجاب[1] كقوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[2] . ولكنه يأتي لغير الإيجاب كثيراً ، فقد يأتي بمعنى الدعاء[3] كما في قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾[4] ، ولمعنى التهديد نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[5] .

فالأغراض التالية الذكر تعد أغراض مجازية للأمر أو معانٍ ثانية تبرز في السياق ، وتدل عليها القرائن والأحوال ، ولعل في استقراء الآيات المتقدمة ما يبرز الأثر الأسلوبي للأمر في النّظم القرآني ، إذ أن ((عناية البلاغيين ببنية الأمر لا تقتصر على كونها بنية إنشائية طلبية وإنما تتجاوزه إلى كونها بنية توليدية كغيرها من بنى الإنشاء ؛ لأنها لا تعرف الالتزام (بأصل المعنى) بل تحاول أن تنتج ما لم تتعود اللغة إنتاجه وهذا المنتج يعتمد على تحول موضعي يخرج البنية عن أصل المعنى))[٦] .

ويظهر الأثر القرآني في اقتباس الشعراء من هذا النوع من الإنشاء الطلبي – الأمر – في شعر الزهد إذ يتكئ هذا اللون من الشعر على معنى الوعظ والإرشاد والنصح والتذكير بحقيقة الحياة ومن ثم فلن يجد متكئاً أعظم من نصوص القرآن الكريم تمثيلاً وتوضيحاً للقصد وبياناً في مبناه ومعناه .

فمن معاني أسلوب الأمر : الدعاء إذ حفل شعر الزهد باستحضار هذا المعنى المتأثر بالقرآن الكريم حتى برز سمة واضحة لدى بعض شعراء الزهد ، وفي مقدمتهم أبو العتاهية ، وعبد الله بن المبارك اللذين طبع شعرهما بالصور البلاغية المؤثرة حتى مثّلا المبادئ الإسلامية أروع تمثيل ، ولم يظهر ذلك الأثر البليغ من خلال الألفاظ الموحية بوصفها منتقاة من قبل الشاعر العباسي في السياق الشعري بعينه إذ إنّ ((الشعرية ليست في اللفظة المفردة ، وإنما في النظم))[٧] وهذا ما أشار إليه الجاحظ ماهية الشعر وسرّ بلاغته وتأثيره في السامع إذ يقول : ((فإنما الشعر صناعة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير))[٨] .

فالشاعر عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ) يلح في الدعاء متذللاً بأسلوب التكرار لفعل الأمر (هب) للإلحاح في الدعاء في قصيدةٍ له نقتطع منها هذين البيتين (من الطويل) :

فيَـارَبِّ هَـبْ لِـي مِنْـكَ حِلْمًا فَإِنَّنِـي ... أَرَى الْحِلْـمَ لَـمْ يَنْـدَمْ عَلَيْـهِ حَلِيـمُ

وَيَارَبِّ هَـبْ لِـي مِنْكَ عَزْمًا عَلَى التُّقَـى ... أُقِيـمُ بِـهِ مَـا عِشْـتُ حَيْـثُ أُقِيـمُ[٩]

فقد جاء الشاعر بأسلوب المناجاة لله (تعالى) عندما يسأله (تعالى) أن يهب له الحلم والعزم إذ لا يندم حليم على حلمه قطعاً ، واجتماع الحلم مع العزم غاية ما يحتاجه العبد ليستعين بهما على طاعة الله (تعالى) والتوصل إلى رضاه .

ونرى أبو نواس (ت ١٩٥هـ) قد سار على منوال سالفه ، مناجيًا ربه في تقبل توبته لكثرة ذنوبه فيقول في بيت مدور (من الرجز) :

يـــا نفـــــــس توبـــــــي قبـــــــل أن ... لا تستطيعـــــــــي أن تتوبـــــــــي

واستغفـــــــــري لذنوبـــــــــك الـــــــرّ ... حمـــــــن غفـــــــار الذنـــــــوب[١٠]

ويقول الأصمعي (ت ٢١٦هـ) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيت شاباً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول (من البسيط) :

قـد نـام وفـدك حـول البيـت وانتبهـوا ... وأنـــت يا حـــي يا قيـــوم لـــم تنـــمِ

ادعـــوك ربـــي حزينـــاً هائمـــاً قلقـــاً ... فارحـــم بكائـــي بحـــق البيـــت والحَـــرَمِ

فقوله : (فارحم) فعل أمر وظفه القائل للتحنن والتعطف مصوراً مدى حاجته وضعفه ، والفضل في انتقال المعنى إلى هذه الصورة المؤثرة راجع إلى شاعرية المنشد التي التقطت لفظاً اعتيادياً متداولاً ليمتزج في إطار تصويري مجسداً عاطفة الخشوع لدى العبد المستكين الضعيف ، ويسعى الشاعر إلى توظيف الاقتباس القرآني في معانيه مما يرقى بالصورة إلى أعلى مستوياتها فيقول مكملاً في السياق نفسه (من الطويل) :

ألا أيها المقصـــود فـــي كـــل حاجـــة ... شكـــوت إليـــك الضُـــر فارحـــم شكايتـــي

ألا يـا رجائـــي أنـــت تكشـــف كربتـــي ... هب لي ذنوبي كلها واقـض حاجتـي[١١]

فقولـه (فأرحم شكايتي) بفعل الأمر (أرحم) الذي خرج إلى غرض الدعاء ، وهل يأمر الداني العالي إلا على سبيل المجاز ، كما يطلب راجيًا من الله (تعالى) أن يغفر ذنوبه كلها ويقضي حوائجه وصرّح بذلك في الفعلين (هبْ ، وأقضِ) . ثم يروي الأصمعي أنه سقط مغشياً عليه فدنوت منه فإذا هو (زين العابدين بن علي الحسين) – عليه السلام – ، ولعلنا ندرك الأثر الفني للاقتباس من خلال استقراء آيات عدة توافقت دلالتها مع دلالة الإلحاح في الدعاء والإكثار منه على الوجه الذي يثبت فيه العبد حقيقة الذل والانكسار لخالقه ومولاه فلقد قال الباري – جل شأنه – في كتابه العزيز عن نفسه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[١٢] . وقـال أيضـاً : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[١٣] وقـال : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[١٤] فهو يشكو بثه وحزنه إلى الله (تعالى)الـذي يقـول وقولـه الحـق : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[١٥] .

المبحث الثاني

صورة الاقتباس في أسلوب النهي

الأصل في النهي أن يكون لطلب الكف على سبيل التحريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾[١٦] ويفهم من النهي في قوله تعالى : ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[١٧] الإهانة ، ومن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾[١٨] اليأس من جدوى الاعتذار ، ويأتي النهي في القرآن لغير ذلك من المعاني البلاغية التي تدرك بالتأمل والنظر غير منفصلة عن سياقها التي هي فيه[١٩] .

يقول عبد الله بن المبارك (من السريع) :

الموت بحر طافح موجه	يذهب فيه حبله السابح
يا نفس أني قائل فاسمعي	مقالة من مشفق ناصح
لا ينفع الإنسان في قبره	إلا التقى والعمل الصالح[٢٠]

فالأبيات وكما نرى اقتبست المعنى القرآني من قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[٢١] .

ولعل شعر الزهد في الأبيات المتقدمة يقترب من المنحى الفلسفي المعتمد على ما يسمى (أسلوب الأسرار) أو أسلوب (الصوفية) الذي ينغلق على نفسه ، قوامه الخفايا الروحية التي عبّرت عن خفايا النفس ومكنوناتها تحت قيود وجدانية التي تقرب بين المحسوسات والمعقولات من خلال توظيف اقتباس النص القرآني الذي يتضمن إطارات دلالية تتصف بالدقة والإيجاز والاختصار في التعبير عن قصد الشاعر في مرمى يتوخى فيه معنى أخلاقياً أشار البيان الإلهي إليه في موضع معين ، ((والأصل في مدح الإيجاز والاختصار في الكلام أن الألفاظ غير مقصودة في أنفسها ، وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام ، فصار اللفظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي مقصودة ، وإذا كان طريقان يوصل كل واحد منهما إلى المقصود على سواء في السهولة إلا أن أحدهما أخصر وأقربمن الآخر ، فلا بد أن يكون المحمود منهما هو أخصرهما وأقربهما سلوكاً إلى المقصد ، فإن تقارب اللفظان في الإيجاز وكان أحدهما أشد إيضاحاً للمعنى كان بمنزلة تساوي الطريقين في القرب وزيادة أحدهما بالسهولة))[٢٢] .

وينماز التوظيف البليغ للنهي عند شاعر الزهد بأسلوب المباشرة والخطابية في إيراد القصد بعيداً عن التكلف أو الغوص في المعاني العميقة التي تحتاج إلى مزيد تأمل وتفكر مراعاة لحال المتلقي في سرعة الوصول إلى المراد فالمقام

يريد ذلك ويطلبه ، فالكلام البليغ هو ما طابق به المتكلم حال المخاطبين ، وهذا ما يصبو إليه شعراء الزهد ، من ذلك ما نراه في قول الحسين بن مطير الاسدي (من الطويل) :

ولا تقـــــرب الأمـــــر الحـــــرام فإنـــــه حلاوتـــــه تفنـــــى ويبقـــــى مريرهـــــا[٢٣]

فلقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾[٢٤] .

ويقول أبو العتاهية (ت ٢١١هـ) في سياق اقتباس لفظي واضح يرسخ فيه حقيقة تحقق وعد الله (تعالى) ووعيده (من الطويل) :

فـــــلا تحســـــبنَّ اللهَ يخلـــــفُ وعـــــدَهُ بمـــــا كـــــانَ أوصـــــى المرســـــلينَ وأرســـــلا[٢٥]

وهذا اقتباس من قوله (جل شأنه) في كتابه العزيز : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾[٢٦] .

المبحث الثالث

صورة الاقتباس في أسلوب النداء

يعد النداء بنية أسلوبية من بنى الإنشاء الطلبي ، وإنتاجيته الدلالية تنصب في معنى مفاده (طلب الإقبال حساً أو معنى)[٢٧] بحرف مولد من الفعل (أدعو) ، سواء أكان الحرف ملفوظاً على مستوى السطح مثل قولنا : يا محمد ، أو مضمراً على مستوى العمق كما في قوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ ﴾ ، فالتحول يبدأ من التقدير : ((أدعو يوسف أن يعرض عن هذا)) ، إلى ((يا يوسف اعرض عن هذا)) إلى نظم الآية : ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ ﴾ . وجاءت صوره من القرآن الكريم في أكثر من (٨٥) صورة .

أما أدوات النداء فهي ثمانية أحرف : (الهمزة و(أي) و(يا) و(أيا) و(هيا) و(أ) و(أي) و(وا))[٢٨] .

ولم يستعمل القران الكريم من أدوات النداء سوى (يا) مذكورة ومحذوفة ويكون النداء لطلب إقبال المدعو ليصغي إلى أمر ذي بال ولذا غلب أن يلي النداء أمرٌ ونهي[٢٩] ، كقوله تعالى جل شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾[٣٠] .

ولا يكاد يستعمل حرف النداء مع الرب في كثير من الآيات القرآنية الكريمة ، بل ينادى مجرداً من حرف النداء ولعل في ذلك تعبيراً عن شعور الداعي بقربه من ربه[٣١] . وتأثر شعراء الزهد بأسلوب النداء القرآني ، فهو دعاء صادر من الإنسان مخاطباً الباري (جل شأنه) .

ومما جاء من الدعاء منظوماً عن الحكماء قول محمود الوراق (ت ٢٣٠هـ) (من المجتث) :

يـــــا ربّ كـــــن لـــــي وليـــــا ... بـــــالحفظ حتـــــى أطيعـــــك
فـــــإن ذممـــــت صنيعـــــي ... فقـــــد حمـــــدتُ صنيعـــــك
أو كنـــــت أعصيـــــك إنـــــي ... أحـــــب فيـــــك مطيعـــــك[٣٢]

ويصحب النـداء في القـرآن الكريم الأمر والنهي غالباً كقوله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦ ﴾[٣٣] وربما تقدمت جملة الأمر جملة النداء كقوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ

مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٣٤] وإذا جاءت جملة الخبر بعد النداء تتبعها جملة الأمر ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[٣٥] وقد تجيء معه الجمل الاستفهامية والخبرية كقوله في الخبر : ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٣٦] وفي الاستفهام : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾[٣٧] وللنداء دلالات ومعان أخرى غير طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص منها (الإغراء والتحذير والتنبيه والتعظيم والتهويل)[٣٨] . ونحن نلمس الأثر القرآني في شعر الزهد من خلال هيمنة الأسلوب القرآني الحكيم على معاني ذلك الشعر بشكل ملحوظ .

إن لطائف أسلوب النداء القرآني دعت شاعر الزهد إلى أن ينهل منها ما يشاء ويدل على ذلك شعر عبد الله بن المبارك حيث يقول (من المنسرح) :

يَـــا طَالِـــبَ الْعِلْـــمِ بَـــادِرِ الْوَرَعَـــا ... وَهَـــاجِرِ النَّـــوْمَ وَاهْجُـــرِ الشَّـــبَعَا

يا أَيُّهَا النَّـــاسُ أَنْتُـــمُ عُشْـــبٌ ... يحْصُـــدُهُ الْمَـــوْتُ كُلَمَا طَلَعَا

لا يَحْصُـــدُ الْمَـــرْءُ عِنْـــدَ فَاقَتِـــهِ ... إلا الَّـــذِي فِـــي حَيَاتِـــهِ زَرَعَا[٣٩]

وهذا يذكرنا بالآيـة الكريمـة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[٤٠] .

فأسلوب النداء في شعر الزهد العباسي لم يخرج في أفكاره ودلالاته عن منظومة الأسلوب القرآني ، فلقد نهل شاعر الزهد من معينه الثر فكان له المثل الأعلى والمنهل العذب الذي يرتوي منه ، ونتيجة لذلك فقد جاءت الشعرية العالية للنصوص التي انتقينا فهي – أي الشعرية – لا تحدد على أساس الظاهرة المفردة كالوزن والقافية ، أو الإيقاع الداخلي ، أو الصورة ، أو الرؤية ، أو الانفعال ، أو الموقف الفكري ، أو العقائدي إلا إذا اندرجت في شبكة من العلاقات المتشكلة في بنية كلية ، فالشعرية خصيصة تعالقية فالمعنى المعجمي لا ينتج الشعرية وإنما هو التواصل من المعاني المتراكبة في السياق[٤١] ، ولعل في ذلك تعليل منطقي لاستنباط الوجه البلاغي للاقتباس في الأمثلة التي أوردنا من شعر الزهد في عصر احتدمت فيه الرؤى الفكرية المختلفة فلم تجد متنفساً إلا ببث أبيات يصوّر فيها شعراؤها حقيقة التسليم للخالق العظيم – جلّ شأنه – بلغة امتزج أسلوبه بأعظم أسلوب كتاب وأرفعه – كتاب الله الخالد – .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة مع نماذج مختارة من شعر الزهد في العصر العباسي ، ووقوع الاقتباس الطلبي في ذلك الشعر نقف عند النقاط الآتية :

١. اتضح الأثر البليغ للأسلوب القرآني في الشعر العباسي من خلال استمداد شعراء الزهد العباسيين لكثير من الألفاظ القرآنية وإدارتها في أشعارهم يرصعون فيها لغتهم مفيدين من جمالها اللغوي ومن طاقتها التعبيرية وشحناتها الإيحائية ، يتناولون هذه الألفاظ بنصها حيناً وأحياناً يحورون فيها تحويراً يسيراً لا يبتعد عن منبعها العطر الشريف الطاهر كتاب الله العزيز وإن ذلك يؤكد عنايتهم وإعجابهم بلغته العظيمة وحفظهم له حفظاً ملأ أذهانهم وعقولهم وخيالهم فجرى على ألسنتهم في خلقهم الشعري .
٢. صدق العاطفة في أشعار الزهد التي ذكرت ، ومما زادها صدقاً وقوة في التعبير عن خلجات النفس أنها اقتبست بعض ألفاظها ومعانيها من لغة القران الكريم ، كما اتسمت تلك الألفاظ بالوضوح والواقعية والالتزام الأخلاقي .
٣. ظهور الاقتباس في هذه الأنواع الطلبية – أعني الأمر والنهي والنداء – في شعراء مقصودين يدل على وقوع الاقتباس الطلبي في غرض الزهد عند شعرائه جميعاً بنسج إبداعي يصنعه الطبع والاستعداد عند الشاعر مما يجعله قادراً على التأثير في المتلقي ، ولعل حفظ الشاعر للقرآن يكمل له الأدوات في اقتباس المعنى القرآني الجليل ووضعه في مكانه من السياق الشعري بفطنة عالية وخبرة في هذا الباب حتى يكون اقتباسه مقبولاً لينال من متلقيه الثناء والتقدير .
٤. لجأ الشعراء إلى طائفة من ألفاظ القرآن ومعانيه لتأثرهم البالغ بالأسلوب القرآني المتسم بالإيجاز وتكثيف المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة .

وأخيراً فالله (تعالى) اسأل أن يجعل دراستي المتواضعة هذه مفتاحاً لدراسات بلاغية وأسلوبية أكثر شمولاً واتساعاً تنظيراً وتطبيقاً . والله ولي التوفيق .

الهوامش

(١) من بلاغة القران : أحمد بدوي ، مطبعة نهضة مصر ، مصر ، ط٢ ، ١٩٥٠م : ١٦٦ .

(٢) سورة البقرة : (١٤٤) .

(٣) من بلاغة القران : (١٦٦) .

(٤) سورة الفاتحة : (٤) .

(٥) سورة فصلت : (٤٠) .

(٦) البلاغة العربية قراءة أخرى ، د.محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية للنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٧ ، ٢٩٣ .

(٧) في المصطلح النقدي ١٦٤ .

(٨) دلائل الإعجاز ٥٠٨ .

(٩) ديوان عبد الله بن المبارك ٥٩ .

(١٠) ديوان أبي نوّاس : (٦١٦) .

(١١) المستطرف من كل فنٍ مستظرف ، للإمام شهاب الدين الابشيهي (ت ٨٥٠هـ) دار الكتب العربية الكبرى مصر ، ١٩٥٢م : ١٨٠/١ .

(١٢) سورة غافر : (٦٠) .

(١٣) سورة الأعراف : (٥٥) .

(١٤) سورة النمل : (٦٢) .

(١٥) سورة الأعراف : (٥٦) .

(١٦) سورة الإسراء : (٣٣) .

(١٧) سورة المؤمنون : (١٠٨) .

(١٨) سورة التحريم : (٧) .

(١٩) من بلاغة القرآن : ١٦٦-١٦٧ .

(٢٠) ديوان عبد الله بن المبارك : (٧٦) .

(٢١) سورة الشعراء : ٨٨-٨٩ .

(٢٢) سر الفصاحة ، محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦) ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، ١٩٦٩ ، ١٣٨ .

(٢٣) شعر الحسين بن مطير ٥٢ .

(٢٤) سورة الأنعام ١٥١ .

(٢٥) أبو العتاهية أشعاره وأخباره : ٣٠٤ .

(٢٦) سورة إبراهيم : ٤٧ .

(٢٧) علم المعاني ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥م : (١٢٥) . وينظر البلاغة العربية قراءة أخرى ٢٩٩-٣٠٠ .

(٢٨) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢٩) ينظر : من بلاغة القران : ١٦٨ .

(٣٠) سورة المدثر : (١-٢) .

(٣١) ينظر : من بلاغة القران : ١٦٨ ، أساليب النداء في القران الكريم ، كاظم فتحي ، مجلة آداب المستنصرية العدد ٢ لسنة ١٩٧٧ ، ٢٣ .

(٣٢) بهجة المجالس وأنس المجالس ، لابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق : محمد مرسي الخولي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٢م : ٢/٢٧٥ .

(٣٣) سورة الزمر : (١٦) .

(٣٤) سورة النور : (٣١) .

(٣٥) سورة الحج : (٧٣) .

(٣٦) سورة الزخرف : (٦٨) .

(٣٧) سورة مريم : (٤٢) .

(٣٨) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧٦م : (٣٨٦-٣٨٧) .

(٣٩) ديوان عبد الله بن المبارك : (٥٢) .

(٤٠) سورة الحج : (٧٣) .

(٤١) ينظر الشعرية العربية ، علي أحمد سعيد (أدونيس) ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ٣٨ وما بعدها .

Abstract

Thanks for Almighty Allah who guides us and peace be upon his prophet Mohammad and his followers . This paper is entitled as ((Images of Quotational Requests In some Examples of asceticism poetry In First Abbasid Era)) and is intend to study the importance of quranic style in Abbayed asceticism poetry .

I tried to work on some chosen examples of asceticism poetry in which quotations from holy quran has been taken and I chose three styles of requests these are : order inhibition and vocatives and show the great affect these styles have in the context of Abbasid poetry of asceticism .